المحاضرة السادسة عشر (16) --- الدلالات النفسية للاختبارات

أولاً- الدلالات النفسية للاختبارات:

من أهم الدلالات النفسية التي ينبغي التركيز عليها (عباس، 1996، ص ص. 42، 43):

1- ملاحظة الأخصائي النفسي للجوانب النوعية في الاستجابات، إذ أنها تساعد الأخصائي في فهم دينامية شخصية المفحوص. ومن أمثلة هذه الملاحظات: التباطؤ في الاستجابة؛ الاستجابات غير الملائمة الدالة على سوء فهم أو اضطراب التداعي؛ الحاجة الملحّة إلى تكرار التعليمات للحصول على الاستجابة؛ العجز عن تحويل الانتباه من عمل لآخر؛ مستوى الاهتمام والمثابرة في بذل الجهد؛ درجة الاستثارة الانفعالية؛ تنظيم أنماط الاستجابة.

2- كذلك ينبغي ملاحظة سلوك المفحوص في الموقف الاختباري، إذا كان متوتراً قلقاً، هادئاً رزيناً، أو متعاوناً أو عدوانياً؛ وكذلك قدرته على التعبير وطريقة الكلام ومعناه، واتساقه أو تشتته.. وتفيد هذه المؤشرات على وضعية المفحوص ومواقفه الحياتية وكيف يتصرف إزائها، والدفاعات التي يلجأ إليها في المواقف المختلفة: دفاعات تبريرية، تمويهية مخادعة، عدوانية تسلطية، هل يسقط مشاعره ومخاوفه وقلقه في الموقف، أم يتماهى مع الفاحص أو أدوات الاختبار. ويوضح (براون) Brown بأن هناك عدة عوامل هامة قد تؤثر في استجابة المفحوص، وأهمها هي:

- سلوك المفحوص إزاء الاختبار: دفاعي، سلبي، مقاوم، متحمس...
- موقف المفحوص أثناء الاختبار: عدائي، سريع الانفعال، خجول، متحدّي...
- استجابة وفهم المفحوص للتعليمات: سريعة، بطيئة، غير متسقة...
- النشاط ببدء الإجابة: قلق حركي، نرفزة، قضم أظافر...
- مشكلات الكلام: صعوبة النطق، التأتأة، التلعثم...

وتفيد هذه المؤشرات النوعية بدلالات نفسية عميقة عن شخصية المفحوص، ومشكلاته، ومآزمه، وكذلك الآليات الدفاعية التي يستخدمها والتي يلجأ إليها في المواقف المختلفة. كما أنها تلقي الضوء على معنى الدرجة على الاختبار ومضمونه، كما أنها تقدم عينات مباشرة من أنواع

كثيرة من السلوك الظاهر التي تتيح للسيكولوجي إمكانية تحديد حاجات المفحوص وأهدافه ودفاعاته في مواقف الحياة العملية.

6-محدودية الاختبارات إن مفهوم (الاختبار) Test قد يوحي للمفحوص بعملية معينة يجب أن يخضع لها، وهذا ما يخلق لديه الشعور بالانصياع والخضوع تجاه سلطة عليا (الموقف الاختباري)، مما يولّد لديه الشعور بعدم الثقة، والقلق. ولا شك أن (قلق الاختبار) ومستوى الدافعية يؤثران على مستوى أداء المفحوص في الاختبار كما أوضحت ذلك (أنستازي) Anstasie.

في اختبارات الشخصية، وخاصة الاختبارات الإسقاطية Projectifs، تصبح نوعية العلاقة القائمة بين السيكولوجي والمفحوص ذات أهمية كبيرة، نتيجة ما يوحيه الموقف الاختباري للمفحوص من إسقاطات، وتماهيات مع السيكولوجي، وهذا مما يؤدي إلى التأثير على نوعية الاستجابة عند المفحوص.

وعلى كل الأحوال، ينبغي على السيكولوجي الانتباه لكل هذه الأمور والعوامل التي يخلقها (الموقف) بحدّ ذاته، وعليه أن يعمل لإبعاد الموقف السلطوي تجاه المفحوص، من خلال عملية التفاعل، والثقة.. وعليه أيضاً أن يلجأ إلى تقنيات أخرى وأساليب متنوعة تساعده على تخطي كل هذه العقبات، من أجل الوصول إلى فهم أكثر لشخصية المفحوص، وقدراته الذاتية؛ ولذلك عليه أن يتعاون مع فريق العمل في عملية التشخيص والتقدير النهائي.

- بعد دراسة المفحوص من خلال مختلف الأساليب التي استخدمها الأخصائي النفسي، تأتي المرحلة النهائية من الفحص النفسي، وهي استخلاص النتائج ووضع تقرير عن المفحوص. إنها مرحلة تثبيت المعطيات والتقرير في صورة دينامية تعكس شخصية المفحوص الكلية، قابلة للاستخدام بهدف التوجيه أو الإرشاد أو العلاج.

ثانياً- مجالات التعاون بين المنهجين العيادي والقياسي:

على الرغم من الجدال حول المقارنة بين المنهج القياسي (التجريبي) والمنهج العيادي في دراسة الإنسان وفهم شخصيته، فإنهما يتبادلان العون وأكثر ما يتضح ذلك التعاون هو في مجال المقاييس والاختبارات في النقاط التالية:

1- أن المقاييس لم تنبثق جاهزة من فكر عبقري (لأخصائي القياس النفسي): بل هي النتيجة التي ينتهي إليها، ويتبلور عندها جهد شاق، ليس فقط من القياس والإحصاء، وإنما أيضاً من الاستطلاع والمحاولة، باختصار من الملاحظة العيادية. ففكرة الاختبار هي من أصل عيادي، كما ترتكز دلالة النتيجة العددية أيضاً على الارتباطات ما بين طرائق الاستجابة للمقياس والمعطيات العيادية.

2- أن النفساني العيادي لن يخسر شيئاً، إن هو حل فروضه عن طريق القياس، أو إن هو استخدم المقاييس ليستثير مادة عيادية متخفية... فالمقاييس بالنسبة له ليست فقط أدوات قياس وتحقيق، وإنما هي أيضاً منشّط وكاشف للاستجابات.

3- إن كل ممارس سيكولوجي، ينبغي أن يكون عيادياً أو يكون باحثاً، وليس مجرد إنسان ميكانيكي أو آلي.

4- الاستخدام العيادي – التجريبي للمقاييس المقننة Tests standardizes: يستهدف الاستخدام القياسي للمقاييس نتيجة موضوعية قابلة للقياس، هي نتاج السلوك، ولكن المقياس يمكنه أيضاً أن يستخدم كموقف تجريبي، وحينئذٍ تسجّل الملاحظة العيادية، الوحدة الكلية للاستجابات الخارجية والفيزيولوجية والشعورية، كما تسجل دينامية تكيف الشخص للموقف الاجتماعي، ولمسالكه الخاصة. ومقاييس الأداء performance هي أكثر من المقاييس اللفظية صلاحية لمثل هذا الاستخدام العيادي – التجريبي تحقيقاً لأهداف تتصل بعلم النفس الفردي.

5- إن الإجابات على المقاييس هي على درجة من التعقيد، فلكي يكون التسجيل الكامل ممكناً من الناحية النظرية، وحتى يكون التفريع والتطور الاحصائيين دقيقين، فإن ملاحظة وتأويل السلوك والنتائج ينتسبان إلى النظرة العيادية، وإلى التصور الدينامي للسلوك. وأشهر نمط لهذه الاختبارات هو اختبار (روشاخ)، وكذلك اختبار (تفهم الموضوع).

6- إن الاختبار، سواء كان قياسياً أو عيادياً، لا يقدم إلاّ معطيات جزئية، ويقع على عاتق النظرة العيادية أن تضطلع بتحديد مكان هذه المعطيات من الكل بإستخلاص ما للأداء من دلالة، تماماً كما اضطلعت هذه النزعة بتحديد التعليمات الخاصة بالاختبار.